احد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأل عن سبب تغيره وهو لا يذكر فلما اكثر عليه
قال له بلغني انك طينت حائط دارك من جانب الشارع فاخذت قدر سمك الطين
وهو مقدار انملة من شارع المسلمين فلا تصلح لتعلم العلم فهكذا كانت مراقبة السلف
لاحوال طلبة العلم فهذا وامثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع الشيطان وان كانوا
ارباب الطيالسة والاكمام الواسعة واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكبير اعني
الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الاخرة
والدعاء اليها بل هي من العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع
الناس والتقدم على الاقران كذا ذكره الامام حجة الاسلام في الاحياء ومنها ان من اشتهى
شيئا او وجد طعاما يتلذذ به في ليلة ولم يكن من نيته صوم الغد فاشتهى نفسه اكله للاستلذاذ
وهو يعلم انه حرام فنوى الصوم ليحل له الاكل ويقضي شهوته لان المعتبر في كلا معنيي النية
كونها باعثة على العمل لا مجرد حديث النفس ومعرفة العمل ومعلوم ان الباعث الاصلي
على الصوم قضاء الشهوة لا التقرب وكذا من يجامع امرأته او يأكل او ينام للشهوة
ويخطر بالحصول ولد وغض البصر وقضاء حق المرأة او التقوى للعبادة
او الاستراحة للنشاط لها وربما يقول ذلك بلسانه ويعلم من حاله انه لو لم يكن له شهوة
لا يقدم على هذه الاحوال بمجرد هذه الخواطر واظهر بطلانا من هذه كلها من يقرأ القرآن
بدراهم معدودة ويخطر بباله ويقول بلسانه اني اقرأ حسبة لله تعالى واخذ الدراهم صلة
محضة وصدقة مبتدأة والله تعالى يعلم انه لو لم يدفع اليه تلك الدراهم لا يقرأ فانى توجد
النية وليت شعري ما يعطى لصاحب الدراهم يوم تبلى السرائر ولم يستحق بهذا القراءة
ثوابا اصلا لخلوها عن النية والاجماع على ان لا ثواب للعمل بدون النية فهؤلاء غالوا
بالنيات والعجب انه يكذب فيزيد اثما ولا يستحي من الله تعالى يتخذ كتابه الكريم وفرقانه العظيم
الذي لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين ليعمل به المؤمنون يحلون حلاله
ويحرمون حرامه ويعتبرون بامثاله وقصصه ويتخذونه ذخرا للاخرة ووسيلة
الى رضوان الله تعالى وقربة وشفيعا للذنوب والخطايا مكسبا ومتجرا للحطام وشبكة
ومصيدة للحرام يقرأ هذا القرآن العظيم الشأن والجليل القدر والحال لاجل دراهم
بخس معدودة معلومة بل جيفة قذرة طالبوها كلاب يشترى بآيات الله ثمنا قليلا

ويلبس

ويلبس على نفسه وعلى غيره من الجهلة الغافلين على العارفين المتيقظين ولو لبس
عليهم فكيف يلبس على من هو عالم الغيب والشهادة ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء وهو السميع العليم فنعوذ بالله تعالى من هذا الغرور وامثاله ونسأله
الانتباه من رقدة الغافلين والتيقظ لخدع النفس والشياطين انه هو ارحم
الراحمين وسنزيد لهذا شرحا وبيانا في الحديث الثاني ان شاء الله تعالى السؤال
فان قلت قد ذكر في علم المعاني ان شرط قصر الموصوف على الصفة افرادا عدم تنافي الوصفين
والحصول بنية والحصول بلا نية متنافيان فكيف قلت لقصر انما الاعمال قصر افراد قلت
التنافي بينهما انما يكون اذا اعتبر محلهما واحدا وههنا قد اعتبر صفتين لشيئين فلا تنافي
بينهما فكان كما اذا اعتقد المخاطب ان بعض افراد الانسان ناطق وبعضه غير ناطق
فقلت له انما الانسان ناطق يكون قصر افراد بلا شبهة بل يجوز في قصر الموصوف افرادا
وحدة محل الوصفين المتضادين اذا اعتبر في زمانين كما اذا اعتقد ان
زيدا يصوم في بعض الايام ويفطر في بعضها فقلت انما زيد صائم يكون قصر افراد
لعدم التنافي فاحفظ هذا ينفعك في مواضع شتى فان قلت كيف يستقيم هذا الحصر
وقد جاء في الاخبار الصحيحة ان بعض الاعمال يثاب عليه بلا نية من جملتها ما جاء
في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه من حديث طويل في اهل الذكر ذكر في اخره
يقول الله تعالى للملائكة اشهدكم قد غفرت لهم فيقول ملك رب فيهم فلان ليس منهم انما
جاء لحاجة قال الله تعالى هم القوم لا يشقى جليسهم دل الحديث الشريف ان جلوسه
معهم لم يكن بنية ومع هذا قد اثيب عليه بالمغفرة قلت الثواب جزاء العبادة والعمل
بلا نية لا يكون عبادة اجماعا فجلوسه ليس عبادة فكيف يكون مغفرة الله تعالى ثوابا بل هي
فضل محض ولطف صرف من الله تعالى تكريما للمخلصين وتشريفا للناوين يدل عليه قوله تعالى
هم القوم لا يشقى جليسهم وقس على هذا امثاله فالثواب مقصور على المنوي ليس الا فان
قلت قولك ان المعاصي لا يؤثر فيها النية فان من صلى مثلا وفي بدنه او ثوبه نجاسة اكثر من قدر
الدرهم ولم يعلم بها لم يأثم بل يؤجر وان لم تصح صلوته والصلوة معها معصية لكن اخرج
جهالته الثوب عن كونها معصية قلت الصلوة معها انما يكون معصية اذا علم بها وان
لم يعلم كونها معصية اذ الجهل بالامور الشرعية ليس بعذر في دار الاسلام بخلاف الجهل
بالامور الغير الشرعية فانه عذر والمخرج عدم العلم لا النية الا ترى ان الاعمى اذا زفت
اليه غير زوجته ولم يعلم بها فوطئ لقصد الشهوة لا يأثم وكذا من شرب ماء نجسا

Copyright © King Saud University